بحث بعنوان الصبر في الكتاب والسنة

الباحث : د فتحي صالح معتوق بعيج

جامعة طرابلس / كلية الآداب واللغات / قسم الدراسات الإسلامية .

ملخص البحث - باللغة العربية:

الصبر هو قدرة الإنسان على تحمّل الشدائد والمصاعب دون تذمّر أو يأس. يُعدّ من أهم الأخلاق التي تحثّ عليها الأديان، وخاصة في الإسلام، حيث ورد ذكره كثيرًا في القرآن الكريم والسنة النبوية. الصبر لا يعني الاستسلام، بل هو قوّة داخلية تعين الإنسان على الثبات ومواصلة الطريق رغم الصعوبات.

أنواع الصبر:

1. الصبر على الطاعة – الالتزام بأوامر الله.
2. الصبر عن المعصية –مقاومة الإغراءات.
3. الصبر على البلاء –تحمّل المصائب والمحن.

ثمرات الصبر:

- نيل رضا الله.
- الطمأنينة النفسية.
- الفرج بعد الشدة

Patience - In English:

Patience is the ability to endure hardships, challenges, or delays without becoming angry or upset. It is considered one of the most valuable virtues in many cultures and religions, especially in Islam, where it is frequently mentioned in the Qur'an and Hadith. Patience does not mean weakness or giving up—it reflects inner strength and resilience.

Types of patience:

1. **Patience in obedience – staying committed to good deeds.**

2. **Patience in avoiding sin – resisting temptations.**

3. **Patience during trials – enduring difficulties and misfortunes.**

Benefits of patience:

- **Gaining God's pleasure.**
- **Inner peace and stability.**
- **Relief and reward after hardship.**

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، الصبور الشكور، العلي الكبير، السميع البصير، العليم القدير، الذي شملت قدرته كل مخلوق، وجرت مشيئته في خلقه بتصريف الأمور كيف ما يشاء ، وقدر مقادير الخلائق وآجالهم، وكتب آثارهم وأعمالهم، وقسم بينهم معايشهم وأموالهم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد

فإن الله ـ عز وجل ـ جعل الصبر جواداً لا يكبو، وصارماً لا ينبؤ، وجنداً لا يهزم، وحصناً حصيناً لا يهدم ، فهو والنصر أخوان شقيقان، فالنصر مع الصبر، والفرج مع الكرب، والعسر مع اليسر [1] .كما جعل المولى ـ سبحانه وتعالى ـ الصبر خلقاً كريماً ومنهجاً قويماً، ولا غنى للمسلم عنه ، وهو يخوض معترك هذه الحياة الدنيا التي جعلها الله ـ سبحانه ـ دار ابتلاء وامتحان، فالمسلم يعيش في هذه الدنيا بين أمر إلهي يجب عليه امتثاله، ونهي إلهي يجب عليه اجتنابه، ومحن ومصائب وكروب تحل به من كل جانب، وكل ذلك يحتاج المسلم فيه إلى التسلح بسلاح الصبر ؛ لمجاهدة الشيطان والنفس والهوى؛ ليكتب عند الله من الصابرين الذين أثنى ـ سبحانه ـ عليهم في محكم التنزيل، ووعدهم بأفضل الجزاء وأحسنه

[1] ـ عدة الصابرين ، لابن القيم ص 5 ، 6 .

سبب اختيار الموضوع

لقد تعرضت لابتلاء شديد حيث فقدت ولدي الكبير ، وخيرة أبنائي ، في لحظة رهيبة من لحظات القدر احتجت في هذه الفترة وما بعدها إلى صبر طويل ، ثم بحثت في هذا الموضوع واطلعت على عدة مصادر ومعلومات تتعلق بالابتلاء والصبر ، وكيف يكون المؤمن في هذه الحالات ؟ ثم رأيت أن أكتب في هذا الموضوع ، لعلي استريح قليلاً من ألم هذا المصاب الجلل .

1 – الصبر يتعلق بأركان الإسلام ، والإيمان ، فأهميته كبيرة كما يتعلق بحياة الناس .

2 – عظم الأجر والتواب للصابرين ويكفي فيه أن ثوابه بغير حساب . قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[1] .

3 – الحاجة الماسة إلى التذكير بالصبر، والتواصي به ، والدعوة إليه، وذلك انطلاقاً من قوله عز وجل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2]، لا سيما وأن المسلم معرض للابتلاءات ، والمصائب بين الحين والآخر ، وعليه أن يصبر ويحتسب الأجر عند الله ـ تبارك تعالى ـ فموضوع هذا شأنه، جدير بلا شك بالبحث والدراسة.

إشكالية البحث :

تتلخص إشكالية البحث في الصبر بأنواعه ، وجزاء الصابرين ، وكيف ينبغي للمسلم أن يصبر الصبر الحقيقي الذي يؤجر عليه .

أهداف البحث

هدف البحث هو الفهم الحقيقي لموضوع الصبر بأنواعه مثل الصبر على الطاعات والصبر عن المعاصي والصبر على أقدار الله ـ تعالى ـ فيجب من خلال هذا البحث فهم الصبر من جميع جوانبه .

منهج البحث:

اقتضت طبيعة البحث اتباع المناهج الآتية :

((1)) ـ سورة الزمر من الآية 10 .

((2)) ـ سورة الذاريات ، الآية 55 .

أحدهما: المنهج النقلي : وذلك بإقامة دراسة موضوعات البحث ومسائله على ما جاء بشأنها من نصوص شرعية في الكتاب والسنة، وعلى فهم علماء الأمة وسلفها لهذه النصوص.

الثاني ـ المنهج الوصفي: وذلك بضرب الأمثلة للتأدب بالصبر والاتصاف به لدى أنبياء الله ورسله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ولدى الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان ـ رضي الله تعالى عنهم ـ أجمعين.

الثالث ـ المنهج الاستقرائي : وذلك بالاستقراء والبحث وتجميع المعلومات المتفرقة ، ووضعها في بحث واحد ؛ لتكون الفائدة أفضل وأعم .

فهذا جهد بشري فما كان فيه من حق وصواب فمن الله وحده ، وله الحمد والثناء على توفيقه، وما كان فيه من خطأ وزلل وتقصير فمني ومن الشيطان، وأستغفر الله وأتوب إليه من ذلك.

والله أسال أن يجعلني من عباده المؤمنين الصابرين الشاكرين، وأن يرزقني إخلاص النية وصلاح العمل، ويعوضني في ابني خيراً ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث ، وخاتمة.

أما المقدمة : فتشتمل على ما يأتي :

1 - بيان أهمية موضوع البحث وسبب اختياره .

2- خطة البحث

3 - منهج البحث.

وأما التمهيد: فيشتمل على أمرين:

الأول: تعريف " الصبر " لغة واصطلاحا.

الآخر: حكم الصبر.

وأما المبحث الأول ـ فهو أنواع الصبر: وينقسم إلى ثلاثة مطالب :

المطلب الأول ـ الصبر على الطاعة.

المطلب الثاني ـ الصبر عن المعصية

المطلب الثالث ـ الصبر على المحن المصائب.

وأما المبحث الثاني ـ فهو في آداب الصبر: وينقسم إلى مطلبين

المطلب الأول ـ آداب الصبر الظاهرة.

المطلب الآخر ـ آداب الصبر الخفية.

وأما المبحث الثالث ـ فهو في فضائل الصبر: وينقسم إلى ثلاثة مطالب :

المطلب الأول ـ فضائل الصبر في القرآن الكريم.

المطلب الثاني ـ فضائل الصبر في السنة النبوية.

المطلب الثالث ـ فضائل الصبر في آثار سلف الأمة وعلمائها.

وأما الخاتمة ـ فتشتمل على بيان لأبرز نتائج البحث وكذلك التوصيات العلمية.

التمهيد

الأمر الأول ـ تعريف الصبر لغة :

تستخدم كلمة " الصبر " ومشتقاتها في اللغة العربية بمعان عدة، منها:

1ـ الحبس والمنع : فكل من حبس شيئا فقد صبَّره ، يقال صبَّرت نفسي على ذلك الأمر، أي حبستها، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ﴾[1]، والصبر: نقيض الجزع ، وهو حبس النفس عن الجزع، يقال: صبر يصبر صبراً، فهو صابر وصبار وصبير وصبور، والأنثى صبور أيضا بغير هاء، وجمعه صبر. ويسمى شهر الصوم شهر الصبر؛ لما فيه من حبس النفس ومنعها عن الطعام والشراب والنكاح.

2 ـ الشدة والقوة: ومنه الصَبرة ، والصُبرة : وهي الحجارة الشديدة الغليظة، ومنه قيل للحرة: أم صبار، وقيل للهضبة التي ليس لها منفذ أم صبور. يقال: وقع القوم في أم صبور، أي: في أمر ملتبس شديد ليس له منفذ. وأم صبار وأم صبور كلتاهما: الداهية والحرب الشديدة.

3- الجمع والضم: ومنه الصبرة: وهي ما جمع من الطعام بلا كيل ولا وزن بعفوق بعض كالكومة، ومنه حديث «مَرَّ النَّبِيُّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمْ ـ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا »[2] .

4 ـ الثبات: ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ ﴾ [3] ، أي: بالثبات على ما أنتم عليه من الإيمان.

ثانياً ـ التعريف الاصطلاحي :عُرف الصبر اصطلاحاً بتعريفات كثيرة أذكر منها ما يأتي

1 ـ عرفه الراغب الأصفهاني بأنه: حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع، وعما يقتضيان حبسها عنه[4].

---

[1] ـ سورة الكهف من الآية 28 .

[2] ـ رواه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ "من غشنا فليس منا " رقم الحديث:102 .

[3] ـ سورة البقرة ، من الآية 45 .

[4] ـ مفردات ألفاظ القرآن، ص 474، بتحقيق: صفوان داوودي، ط الثانية 1418 هـ 1997 م، دار القلم، دمشق.

2 ـ وعرفه الجنيد بن محمد بأنه: تجرع المرارة من غير تعبس[1]

3 ـ وعرفه ذو النون المصري بأنه: التباعد عن المخالفات، والسكون عند تجرع غصص البلية، وإظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة[2]

4 ـ وعرفه الجرجاني بأنه: ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله لا إلى الله

5 ـ وعرفه ابن القيم بأنه: حبس النفس عن الجزع والتسخط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش[3]

وقيل: هو الوقوف على البلاء بحسن الأدب [4]

وقيل: الثبات على أحكام الكتاب والسنة.

وبهذا يتبين أن تعريف الصبر يختلف باختلاف الموطن الذي يحتاج إليه وفيه، فالصبر لفظ عام، وربما خولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقعه، فإن كان حبس النفس لمصيبة سمي صبراً لا غير ويضاده الجزع، وإن كان في محاربة سمي شجاعة ويضاده الجبن، وإن كان في نائبة مضجرة سمي رحب الصدر ويضاده الضجر، وإن كان في إمساك الكلام سمي كتماناً ويضاده الإفشاء[5] ، وإن كان في كظم الغيظ والغضب سمي حلماً ويضاده التذمر، وإن كان عن فضول العيش سمي زهداً ويضاده الحرص، وإن كان صبراً على قدر يسير من الحظوظ سمي قناعة، ويضاده الشره، نلاحظ هنا أن أكثر أخلاق الإيمان داخل في الصبر .

يقول ابن القيم : " النفس فيها قوتان: قوة الإقدام، وقوة الإحجام، فحقيقة الصبر أن يجعل قوة الإقدام مصروفة إلى ما ينفعه، وقوة الإحجام إمساكاً عما يضره " [6]

الأمر الآخر ـ حكم الصبر: الصبر نصف الإيمان، فالإيمان نصفان: نصف صبر، ونصف شكر، وهو واجب في الجملة بإجماع الأمة وذلك لما يأتي :

1 ـ أن الله ـ عز وجل ـ أمر به في آيات عديدة في كتابه الكريم، والأمر في أصله يقتضي الوجوب، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ

---

[1] ـ عدة الصابرين لابن القيم الجوزية ، ص15 .
[2] ـ نفس المصدر ص 15 وما بعدها .
[3] ـ مدارج السالكين ، 119/2 ، ط الأولى 1419 هـ 1999م ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت
[4] ـ عدة الصابرين ، لابن القيم ، ص15 ، وشرح صحيح مسلم للنووي 102/3 .
[5] ـ مفردات ألفاظ القرآن ، الراغب الأصفهاني ، ص 474 بتصرف قليل .
[6] ـ عدة الصابرين ، ص 18

وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[2] ، وقوله تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا ﴾[3].

2- أنه سبحانه نهى عن ضده، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴾[4] ، فإن تولية الأدبار ترك للصبر والمصابرة، وقوله: ﴿ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴾[5] ، فإن إبطالها ترك للصبر على إتمامها، وقوله: ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾[6] فإن الوهن من عدم الصبر.

3– أنه ـ سبحانه وتعالى ـ رتب عليه الفضل في الدنيا والآخرة ، فإذا أراد الإنسان الفوز بالخير في الدارين فعليه بالصبر وما كان سبباً للفوز وجب الحرص عليه [7] .

أما حكمه التفصيلي فيختلف باختلاف نوع المصبور عنه ، أو المصبور عليه، فلكل نوع حكم يخصه من الأحكام التكليفية الخمسة ، فالصبر الواجب : هو الصبر على أداء الواجبات، والصبر على ترك المحظورات، ويدخل في ذلك الصبر على المصائب عن أن يجزع فيها، وهذا باتفاق المسلمين[8].

والصبر المندوب: هو الصبر على فعل المستحبات، وعن فعل المكروهات، أو عما هو خلاف الأفضل والأمثل، ومثال ذلك: أن مقابلة السيئة بمثلها جائزة في الإسلام، وأفضل منها العفو والصفح، ومن هنا يكون الصبر عن مقابلة السيئة بمثلها أمراً مندوباً[9]، يقول عز وجل: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾[10] ، ويقول أيضا: ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾[11] .

---

[1] ـ سورة آل عمران ، الآية 200

[2] ـ سورة البقرة ، من الآية 153 .

[3] ـ سورة النحل ، 127 .

[4] ـ سورة الأنفال ، الآية 15 .

[5] ـ سورة محمد ، الآية 33 .

[6] ـ سورة آل عمران ، الآية 139 .

[7] ـ الصبر في القرآن، د . يوسف القرضاوي، ص 29، ط الأولى 1397 هـ 1997 م، مكتبة وهبة، القاهرة.

[8] ـ انظر مجموع الفتاوى ابن تيمية، 39/10، ط الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين، مكة المكرمة.

[9] ـ الصبر في القرآن ، د يوسف القرضاوي ص29 .

[10] ـ سورة النحل ، 126 .

[11] ـ سورة الشورى ، الآية 40 .

والصبر المحظور: هو صبر الإنسان عن الطعام والشراب حتى الموت، وكذا صبره عن الميتة والدم ولحم الخنزير عند المخمصة إذا خاف بتركه الموت، وكذا صبره على ما يقصد هلاكه من سبع أو حية أو حريق أو كافر يريد قتله ، والصبر المكروه: هو الصبر على فعل المكروه، والصبر على فعل المستحب، كصبر الرجل عن الطعام والشراب واللباس وجماع أهله حتى يتضرر بذلك بدنه.

وأما الصبر المباح: فهو الصبر عن كل فعل مستوي الطرفين خير بين فعله وتركه والصبر عليه [1] .

المبحث الأول ـ أنواع الصبر

للصبر أنواع عدة ، وقُسم باعتبارات مختلفة ، وهذه التقسيمات تندرج تحت ثلاثة أقسام رئيسة هي : الصبر على طاعة الله. والصبر عن معصية الله. والصبر عن المحن والمصائب. وقد آثرت الاقتصار على بحث هذه الأنواع الثلاثة، رغبة في الاختصار، وتجنباً للتكرار، أتناولها في ثلاثة مطالب ، وذلك على النحو الأتي:

المطلب الأول: الصبر على طاعة الله:

إن الله ـ تبارك وتعالى ـ فرض علينا فرائض ، وسن رسوله الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ سنناً ، وأمرنا بطاعته ـ سبحانه وتعالى ـ وطاعة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في كل ما أمرنا به ، وهذه الطاعة تحتاج إلى مجاهدة النفس ، وضبطها ، وإلزامها بما أمر الله به ، وهذا الأمر يحتاج إلى صبرٍ ومداومة . فمن العبادات ما يثقل على النفس بسبب الكسل كالصلاة ، ومنها بسبب البخل كالزكاة ، ومنها بسببهما معاً، كالحج وغير ذلك من العبادات التي تحتاج إلى مجاهدة النفس[2] ولذلك فإنها تحتاج إلى صبر ، والمسلم يحتاج إلى هذا النوع من الصبر فبه يؤدي عباداته وقد قال سبحانه وتعالى : ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴾[3] . وقوله تعالى : ﴿ وَٱصۡطَبِر﴾ وهي من صيغ المبالغة في الصبر ، ما يعني أن الأمر يحتاج إلى صبر طويل .

يقول أبو الحسن الماوردي : " الصبر على امتثال ما أمر الله تعالى به، والانتهاء عما نهى الله عنه تخلص به الطاعة، وبخلوص الطاعة يصح الدين، وتؤدى الفروض،

((1)) ـ عدة الصابرين لابن القيم 34 ، 35 .

(2) ـ انظر: إحياء علوم الدين للغزالي ، ومختصر منهاج القاصدين لابن قدامة ، ص 297

(3) ـ سورة مريم ، الآية 65 .

ويستحق الثواب ... " ، وليس لمن قل صبره على طاعة حظ من بر، ولا نصيب من صلاح. ومن لم ير لنفسه صبراً يكسبها ثواباً أويدفع عنها عقاباً كان مع سوء الاختيار بعيداً من الرشاد، حقيقاً بالضلال ... وهذا النوع من الصبر إنما يكون لفرط الجزع، وشدة الخوف، فإن من خاف الله ـ عز وجل ـ صبر على طاعته، ومن جزع من عقابه وقف عند أوامره[1]. وقد قص لنا القرآن الكريم قصة عجيبة تمثل نموذجاً فريداً للصبر على الطاعة، وهي قصة إبراهيم وابنه إسماعيل ـ عليهما السلام ـ فقد رأى خليل الرحمن إبراهيم في المنام أنه يذبح إسماعيل – ورؤيا الله ودعوة الأمة إلى الصراط المستقيم بعد أن طمس معالم الشرك والوثنية وقوض آطامها الواهية، وغرس بذرة التوحيد قوية الجذور ثابتة الأركان يرفرف عليها لواء العز والنصر والتمكين.

ولعظم شأن الصبر على الطاعة ، ورد الأمر به في النصوص الشرعية في أكثر من نوع من أنواع العبادات والطاعات، ومن ذلك:

1 ـ الأمر به في شأن الصلاة، فالصلاة عمود الدين، والركن الثاني من أركان الإسلام،والمداومة عليها تحتاج إلى صبر، حيث يقول تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾[2].

2 ـ الأمر به في شأن الجهاد في سبيل الله، فالجهاد ذروة سنام الإسلام ، وهو يحتاج إلى صبر كبير، حيث يقول تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[3] ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [4]، ويقول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : «يَا أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَتَمَنَّوا لِقَاءَ الْعَدُو، وَاسْأَلُوا اللهَ العَافِيةَ، فَإِذَا لَقَيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا »[5] .

3- الأمر به عند القيام بأمر الدعوة إلى الله، حيث يقول ـ سبحانه ـ على لسان لقمان الحكيم في وصاياه لابنه: ﴿ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾[6]

---

(1) ـ أدب الدنيا والدين ، ص 277 .
(2) ـ سورة طه ، من الآية 132 .
(3) ـ سورة الأنفال ، الآية 45 .
(4) ـ سورة الأنفال ، الآية 46 .
5 ـ أخرجه البخاري في صحيحه كتاب : الجهاد والسير باب : لا تتمنوا لقاء العدو ، حديث رقم : 2966 .
(6) ـ سورة لقمان ، من الآية 45

فالداعية بأمس الحاجة إلى خلق الصبر، إذ إن حكمة الباري ـ جل شأنه ـ اقتضت أن يكون لأصحاب الدعوات أعداء يمكرون بهم، ويكيدون لهم، ويتربصون بهم الدوائر، فقد كان لآدم ـ عليه السلام ـ إبليس، وكان لإبراهيم ـ عليه السلام ـ النمرود، وكان لموسى ـ عليه السلام ـ فرعون وأتباعه، وكان لمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أبو جهل وأتباعه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ [1]

4- الأمر به في الثبات على الدين والعض عليه بالنواجذ، وإن أصاب الصابر بسبب ذلك التكذيب والإيذاء والتعذيب؛ بل والقتل أحياناً من جانب أهل الكفر والبدع والأهواء. وقد قص لنا القرآن الكريم ما حصل لبني إسرائيل من تهديد فرعون لهم بتقتيل أبنائهم واستحياء نسائهم، فما كان من موسى ـ عليه السلام ـ إلا أن قال لقومه : ﴿ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ﴾[2] ولا يخفى ما أصاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصحابته الكرام من أذى وتعذيب وتنكيل من كفار قريش، ولا سيما في بداية البعثة النبوية ، مما اضطر بعضهم إلى الهجرة إلى الحبشة فراراً بدينهم .وقد كان بلال بن رباح ـ رضي الله عنه ـ مضرب المثل في الثبات على الدين، حيث سامه سيده أمية بن خلف سوء العذاب للتخلي عن دينه فصبر وصابر حتى أتاه الفرج من عند الله بإعتاق أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ له بعد شرائه من أمية بن خلف.

ويحتاج العبد إلى الصبر على الطاعة في ثلاث حالات:

الأولى ـ قبل الشروع في الطاعة، وذلك بتصحيح النية والإخلاص، والصبر عن شوائب الرياء ودواعي الآفات، وعقد العزم على الوفاء بهذه الطاعة.

الثانية ـ الصبر حال القيام بالطاعة، وذلك بملازمة الصبر عن التقصير فيها، وملازمة استصحاب النية، وحضور القلب بين يدي المعبود.

الثالثة ـ الصبر بعد الفراغ من الطاعة، وذلك بالصبر عن الإتيان بما يبطلها، والصبر عن النظر إليها بعين العجب والتعظيم، والصبر عن نقلها من ديوان السر إلى ديوان العلانية.

المطلب الثاني ـ الصبر عن معصية الله:

المراد بالصبر عن المعصية: الصبر عما نهى الله عنه من المحرمات والمعاصي، وقمع الشهوات، ومجاهدة النفس عن قربانها، وقهرها عن هواها، وكبح جماحها عن

---

[1] ـ سورة الفرقان ، الآية 31

[2] ـ سورة الأعراف ، من الآية 28

الوقوع في حمأة الرذائل[1] ، يقول ـ تعالى ـ في بيان عاقبة الصبر عن المعصية: ﴿ وَأَمَّا مَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[2]

يقول ابن تيمية : " يحتاج المسلم إلى أن يخاف الله، وينهى النفس عن الهوى ... "، فإذا كانت النفس تهوى وهو ينهاها كان نهيه عبادة لله وعملا صالحاً. وثبت عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: «المُجَاهِد مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي ذَاتِ اللهِ »[3] ، فيؤمر بجهادها كما يؤمر بجهاد من يأمر بالمعاصي ويدعو إليها، وهو إلى جهاد نفسه أحوج، فإن هذا فرض عين وذاك فرض كفاية، والصبر في هذا من أفضل الأعمال، فإن هذا الجهاد حقيقة ذاك الجهاد، فمن صبر عليه صبرعلى ذلك الجهاد، كما قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : «والمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ السَّيئاتِ »[4] .

ويقول الغزالي في الصبر عن المعصية: ما أحوج العبد إلى الصبر عن المعاصي، وقد جمع الله تعالى أنواعها في قوله تعالى : ﴿ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[5] وأشد أنواع الصبر: الصبر عن المعاصي التي صارت مألوفة بالعادة ... ، فإذا انضافت العادة إلى الشهوة تظاهر جندان من جنود الشيطان على جند الله تعالى فلا يقوى باعث الدين على قمعها إلا بالصبر ، ثم إن كان ذلك الفعل مما تيسر فعله كان الصبر عنه أثقل على النفس[6]

ولذا فما أعظم صبر الصحابة ـ رضوان الله تعالى عليهم ـ في امتناعهم عن شرب الخمر لما نزل تحريمها تحريماً قاطعاً في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[7]، حيث قالوا: انتهينا انتهينا، وأراقوا ما لديهم من خمر في طرقات المدينة، فمع إشراب قلوبهم حبها، وأسرها لنفوسهم، وشدة هيامهم بها، مع ذلك كله انتهوا عنها بانقياد تام، وأراقوها طواعية لله ، واستجابة وامتثالا لأمره، وملكوا زمام النفوس التي طالما أدمنت

---

(1) ـ كتاب الصبر، د. صالح الخزيم، ص 25.

(2) ـ سورة النازعات ، الآية 40 - 41 .

(3) ـ رواه الإمام أحمد في المسند بلفظ: " المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب " ، الحديث رقم (23958) وقد صحح إسناده محققو المسند، كما صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (549) ، 2 / 89، ط عام 1415 هـ 1995 م، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض. ورواه الترمذي في سننه كتاب : فضائل الجهاد ، باب : مما جاء في فضل الجهاد ، رقم الحديث 1671 .

4 ـ أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : الإيمان ، باب : المهاجر من هجر ما نهى الله عنه ، رقم الحديث 10 .

(5) ـ سورة النحل من الآية 90 .

(6) ـ إحياء علوم الدين، 4 / 67، 68، بتصرف يسير

(7) ـ سورة المائدة ، الآية 91 .

شربها فاجتنبتها وانصرفت عنها دونما عود ورجعة [1] . ويقول الغزالي : " وتختلف شدة الصبر في آحاد المعاصي باختلاف داعية تلك المعصية في قوتها وضعفها "[2] .ويقول ابن القيم : " مشقة الصبر بحسب قوة الداعي إلى الفعل وسهولته على العبد، فإذا اجتمع في الفعل هذان الأمران كان الصبر عنه أشق شيء على الصابر " [3]. وعليه فمن تدبر قصة نبي الله يوسف ـ عليه السلام ـ مع امرأة العزيز التي قصها الله في القرآن الكريم[4]، يعلم مدى قوة صبره وتحمله، فقد كان الدافع إلى ارتكاب المعصية معها قوياً، كما كانت الظروف مهيئة وميسرة لذلك، من حيث إنه ـ عليه السلام ـ كان شاباً، والشاب تتوق نفسه إلى النساء، وعزباً ليس له ما يعوضه ويرد شهوته، وغريباً والغريب لا يستحي في بلد غربته مما يستحي منه في بلد أهله ومعارفه، ومملوكاً والمملوك أيضا ليس وازعه كوازع الحر، والمرأة جميلة وذات منصب، وهي سيدته، وقد توفر المكان الآمن وغلقت الأبواب ، وغاب الرقيب، وهي الداعية إلى نفسها، والحريصة على ذلك أشد الحرص، ومع ذلك كان مُكرهاً على هذا الفعل وتوعدته إن لم يفعل بالسجن أو الصغار.

ولكنه مع هذه الدواعي كلها صبر بعداً عن المعاصي والآثام، وإيثاراً لما عند الله من أجر كبير وثواب عظيم، حيث رفض بشمم واستعلى بإيمان قائلا: ﴿ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [5]، فزاده الله عزاً ورفعة في دنياه وأخراه.

المطلب الثالث ـ الصبر على المحن والمصائب:

المراد بالصبر على المحن والمصائب: الصبر على ما يقدره الله ـ سبحانه ـ على عبده من كوارث مفجعة ، ومصائب مؤلمة، وابتلاءات عسيرة ، وامتحان مهما كانت أسبابه، ومهما تشكل وتلون، فقد يكون بفقد عزيز، أو بحلول نازلة تحزنه، وقد يكون بفادحة تجتاح ماله، أو علة جسدية مستعصية تعطله عن الحركة ، أو فشل ذريع في محاولة خطط عليها مستقبله[6] ، ونحو ذلك من أنواع المحن والبلايا والمصائب التي تصيب البشر والتي أكد الله ـ عز وجل ـ وقوعها بقوله: ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[7].

---

[1] ـ كتاب الصبر ، للدكتور صالح الخزيم ص 26 .
[2] ـ إحياء علوم الدين للغزالي 68/4 ، عدة الصابرين لابن القيم 75 - 76 .
[3] ـ عدة الصابرين ص 74 .
[4] ـ راجع سورة يوسف الآيات 23 - 53 .
[5] ـ سورة يوسف من الآية 23 .
[6] ـ كتاب الصبر لصالح الخزيم ص27 .
[7] ـ سورة البقرة ، الآية 155 .

والصبر على ذلك من أعلى مقامات الصبر، ويتأكد وقوع البلاء في حق المؤمنين الصادقين، وعلى قدر الإيمان واليقين يكون الابتلاء، ولذا فإن الأنبياء ـ صفوة البشر ـ هم أشد الخلق ابتلاءً في دار الابتلاء، كما ورد في حديث مصعب بن سعد عن أبيه ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: قلت: يا رسول الله أي الناس أشد بلاء؟ قال: " الأَنبِيَاءَ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالْأَمثلُ ، فَيُبتَلَى الرَّجُلَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِن كَانَ دِينَهُ صَلْباً اشْتَدَّ بَلَاؤُه، وَإِن كَانَ فِي دِينِهِ رِقَةً ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ البَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرَكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيهِ خَطِيئَةً "[1] .

فالصبر على المحن والمصائب يكفر الله به الخطايا، ويمحو به السيئات، ويؤكد ذلك ما رواه أبي سعيد الخدري وأبو هريرة ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: " مَا يُصِيبُ المُسْلِمُ مِن نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ ، وَلَا َهَمٍ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذَى وَلَا غَمٍ، حَتَّى الشَّوكَةَ يُشَاكَهَا إِلَا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ "[2] [3]، وما روي عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " من يرد الله به خيرا يصب منه "[4] ، وجاء في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: " مَا مِن مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذَىً إِلَا حَاتَ اللهُ عَنْهُ خَطَايَاهُ كَمَا تُحَات وَرَقَ الشَّجَرِ "[5] .

يقول ابن حجر: " وفي هذه الأحاديث بشارة عظيمة لكل مؤمن ؛ لأن الآدمي لا ينفك غالباً من ألم بسبب مرض ، أو هم ، أو نحو ذلك مما ذكر، وأن الأمراض والأوجاع والآلام ـ بدنية كانت أو قلبية ـ تكفر ذنوب من تقع له " [6] ، فالمؤمن ممتحن في دنياه مبتلى فيها بما يطهره من الذنوب والآثام ، ويمحصه من الخطايا، وينقيه من أدران المعاصي وأوضار السيئات[7] ، يقول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : «عَجَباً لَأَمْرِ المُؤمِن إِنَّ أَمَرَهُ كُلُهُ خَيرٍ، وَلَيسَ ذَاكَ لَأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤمِنِ، إِنْ أَصَابَتَهُ سَرَاءَ شَكَرَ فَكَانَ خَيراً لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءَ صَبَرَ فَكَانَ خَيراً لَهُ »[8] .

كما أن الصبر على أنواع المحن والمصائب يورث الجنة، وقد ورد ذلك في العديد من النصوص الشرعية منها:

---

[1] ـ رواه الترمذي في سننه ، كتاب : الزهد ، باب : ما جاء في شدة البلاء ، رقم الحديث : 2398 ، ورواه ابن ماجه في سننه ، كتاب: الفتن ، باب : الصبر على البلاء ، رقم الحديث : 4023 .

[2] ـ رواه البخاري في صحيحه كتاب المرضى ، باب : ما جاء في كفارة المرضى ، الحديث رقم : 5641، 10 / 103

[3] ـ النصب : التعب ، والوصب : المرض ، وقيل المرض اللازم ، كما جاء في فتح الباري ، لابن حجر 106/10 .

[4] ـ رواه البخاري في صحيحه كتاب : المرضى ، باب : أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ، الحديث رقم 5645، 10 / 103.

[5] ـ رواه البخاري في صحيحه كتاب : المرضى ، باب : ما يصيب المسلم من مرض ونحوه يحط به من الخطايا ، الحديث رقم 5647، 10 /103.

[6] ـ فتح الباري 108/10 .

[7] ـ كتاب الصبر لصالح الخزيم ص34 .

[8] ـ رواه الإمام مسلم في صحيحه كتاب : الزهد ، باب : المؤمن أمره كله خير ، رقم الحديث : 2999.

أ ـ في الابتلاء بالصرع : فقد روي عن عطاء بن أبي رباح ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: قال لي ابن عباس: «أَلَا أُرِيكَ امرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالت: إني أصرع وإني أتكشف فادع الله لي، قال: " إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةَ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوتُ اللهَ أَنْ يُعَافِيكِ " فقالت: أصْبِر، فقالت: إِنِّي أَتَكَشّفُ فَادْعُ اللهَ لِي أَنْ لَا أَتَكَشَفُ، فَدَعَا لَهَا »[1] ، وفي الحديث فضل من يصرع، وأن الصبر على بلايا الدنيا يورث الجنة، وأن الأخذ بالشدة أفضل من الأخذ بالرخصة لمن علم من نفسه الطاقة ولم يضعف عن التزام الشدة [2] .

ب- في الابتلاء بفقد البصر: فقد روي عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: سمعت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: «إن الله ـ تعالى ـ قال: " إِذَا ابْتَلَيتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيهِ فَصَبَرَ عَوَّضتَهُ مِنْهُمَا الجَنَّةَ »[3].

ج- في الابتلاء بفقد الأصفياء والأولاد: فقد روي عن أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ «أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: " يقول الله تعالى: مَا لِعَبْدِي المُؤمِنَ عِندِي جَزَاءً إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنَ أَهْلِ الدُّنيَا، ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلَّا الْجَنَّة »[4] .

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «مَا مِنَ النَّاسِ مُسْلِمٍ يَتَوفَّى لَهُ ثَلاثَةٌ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّة بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ »[5] . وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ «أَنَّ النِّسَاءَ قُلْنَ لِلنَّبِي صَلَى اللهُ عَليهِ وَسَلَمَ : اجْعَل لَنا يَوماً، فَوعَظَهُنَّ وقال: " أَيَّمَا امْرَأة مَاتَ لَهَا ثَلاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ كَانُوا لَهَا حِجَاباً مِنَ النَّارِ، قالت امرأة: وَاثنَانِ؟ قَالَ: وَاثْنَانِ »[6] . وعن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ «أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: " إِذَا مَاتَ وَلَدُ العَبْدِ قَالَ اللهُ لِمَلائِكَتَهُ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤادِهِ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرجَعَ، فَيَقُولُ اللهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَسَمُّوهُ بَيتَ الْحَمْدِ » [7]. ـ اللهم لا تحرمنا من فضلك ـ وقد سطر أنبياء الله ورسله أروع الأمثلة في الصبر على البلاء، فهذا نبي الله أيوب ـ عليه السلام ـ كان له

---

[1] ـ رواه البخاري في صحيحه كتاب : المرضى ، باب : فضل من يصرع أو يبتلى فيصبر ، ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب : البر والصلة والآداب ، باب فضل الصبر على البلاء ، الحديث، رقم 2576،

[2] ـ ابن حجر، فتح الباري، 10 / 115

[3] ـ رواه البخاري في صحيحه في كتاب : المرضى ، باب : فضل من ذهب بصره فصبر ، الحديث رقم 5653 .

[4] ـ رواه البخاري في صحيحه في كتاب : الرقاق ، باب : باب قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول الله ـ عز وجل ـ ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من إهل الدنيا فاحتسبه إلا الجنة ، الحديث رقم 6424،

[5] ـ رواه البخاري في صحيحه في كتاب : الجنائز ، باب : باب فضل من مات له ولد فاحتسب ، الحديث رقم 1298، ورواه مسلم في صحيحه كتاب : البر والصلة ، باب : فضل من يموت له ولد فيحتسب ، رقم الحديث : 2635 بالفاظ متعددة .

[6] ـ رواه البخاري في صحيحه في الموضع السابق برقم 1249. ورواه مسلم في صحيحه كتاب : البر والصلة والآداب ، باب : فضل من يموت له ولد فيحتسبه ، رقم 2635 ، 16 / 181.

[7] ـ أخرجه الترمذي في سننه في كتاب : الجنائز ، باب : فضل المصيبة إذا احتسب ، الحديث رقم 1022، 3 / 341، وقال: حديث حسن غريب.

من الدواب والأنعام والحرث الشيء الكثير، كما كان له أولاد كثيرون ومنازل مرضية، فابتلي في ذلك كله وذهب عن آخره، ثم ابتلي بمرض عم سائر بدنه، ولم يبق منه شيء سليم سوى قلبُه ولسانُه يذكر بهما الله ـ عز وجل ـ ، حتى عافه الجليس ، وأفرد في ناحية من البلد، ولم يبق من يرق له، ويحنو عليه سوى زوجه ، التي كانت تقوم بأمره، وإذا اشتدت بها الحاجة خدمت الناس من أجله. واستمر به هذا البلاء ثمانية عشر عاماً، فلم يضق صدره ـ عليه السلام ـ ولم يتململ من الضر، ولم يزد في دعاء ربه عن وصف حاله: ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ ﴾ ووصف ربه بصفته: ﴿ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[1] ، ثم لا يدعو بتغير حاله صبراً على بلائه ؛ بل إنه ليتحرج أن يطلب إلى ربه رفع البلاء عنه، فيدع الأمر كله للعليم الخبير، اطمئناناً على علمه بالحال، وثقة باستجابته في كشف ضره، فاستجاب الله له النداء، فكانت الرحمة ، وكانت نهاية الابتلاء، حيث رفع الله عنه الضر في بدنه فإذا هو معافىً صحيح، قد زال عنه ما مسه ، وأهمه، ورفع عنه الضر في أهله فعوضه الله عمن فقد منهم ورزقه مثلهم. يقول عز وجل: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ﴾[2] .

وهذا نبي الله يعقوب ـ عليه السلام ـ امتحن أولاً ـ على كبر سنه ورقة عظمه ـ بفقد مهجة فؤاده ، وأحب أبنائه إليه : يوسف ـ عليه السلام ـ إذ كاد له إخوته وطرحوه في الجب، وجاءوا إلى أبيهم بدم كذب كدليل مقنع بأن الذئب أكله. ولم يكن الفراق بين يعقوب وابنه كأي فراق آخر بين حبيبين يعرف كلاهما أين يقيم صاحبه، ويرجو أن ينتهي الفراق يوماً ما بلقائهما ، وإنما كان فراقاً بعد مؤامرة ، انتهى إلى انقطاع كلي بين الابن وأبيه، كما لم تكن هذه المؤامرة من غرباء مجرمين ، وإنما كانت كيداً من إخوة لأخيهم، وكذباً من أبناء على أبيهم، علمه الوالد الحنون في قرارة نفسه، فقال صابراً محتسباً : ﴿ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾[3] . ثم امتحن ثانيا بفقد ابنه الآخر، الشقيق الأصغر ليوسف وهو بنيامين، فقال كما قال في المرة الأولى: ﴿ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ ﴾[4] ورجا ربه بلسان صادق وقلب ينتظر فرج الله ولطفه وعونه: ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي

---

[1] ـ سورة الأنبياء ، من الآية 83 .
[2] ـ سورة الأنبياء ، الاية 83 ' 84 .
[3] ـ سورة يوسف ، من الآية 18 .
[4] ـ سورة يوسف ، من الآية 83 .

بِهِمْ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ.﴾[1] واشتد به الحزن وأخذ منه الأسى كل مأخذ، فقد هيج فقد ولده الثاني - بنيامين - ذكرى فقد ولده الأول - يوسف - والأسى يبعث الأسى. ثم امتحن ثالثاً بفقد بصره، حيث ابيضت عيناه من شدة الحزن، فهو كئيب حزين ساكت لا يشكو أمره إلى مخلوق، مما حدا بأبنائه إلى الشفقة عليه، فقالوا: - رفقا به - لا تكاد تفارق ذكر يوسف حتى تضعف قواك أو تهلك، فقال: إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وحده، فهو الذي يكشف الضر، ويجيب دعاء المضطر، وإليه المشتكى، وبيده إجابة الدعاء[2] . وفي هذا يقول عز وجل: ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَـٰلِكِينَ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[3]

وانتهى به الحال بعد سنين من الصبر والتحمل إلى كشف الضر عنه، حيث رد الله إليه بصره، وجمعه بابنيه المفقودين، واستقر به المقام مع أهله بمصر ؛ آمنين من الجهد والقحط .وهذا نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - ابتلي بأنواع البلايا والمحن، فقد ابتلي بوفاة عمه أبي طالب الذي كان يسانده ويحميه ، ويدافع عنه، كما كان بمثابة الحصن الحصين الذي تحتمي به الدعوة الإسلامية من هجمات أعداء الإسلام . وبعد وفاة عمه بشهرين أو ثلاثة ابتلي بوفاة زوجه أم المؤمنين خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها - التي عاشت معه ربع قرن تحن عليه وتسري عنه وتخفف آلامه وتؤازره في أحرج أوقاته وتواسيه بنفسها ومالها. وابتلي - صلى الله عليه وسلم - بوفاة جميع أولاده في حياته ما عدا ابنته فاطمة - رضي الله عنها - ، كما ابتلي بمقتل سبعين من أصحابه في غزوة أحد، وكان من بينهم عمه وحبيبه حمزة بن عبد المطلب - رضي الله عنه - هذا بالإضافة إلى ما لحقه من صنوف الأذى من كفار قريش، من تكذيبه، وتأنيبه، وسبه، والاستهزاء به، وتخويفه، ورميه بالجنون، وإلقاء القاذورات عليه وهو يصلي وعلى باب منزله، ومطاردته، ومحاولة قتله ... ونحو ذلك. فصبر على ذلك كله صبر المؤمن بربه ، الواثق بنصره ، المتوكل عليه ، والراضي بقضائه، فمن الله عليه بالنصر والتمكين ، وإعزاز الدين، وإظهاره على كل دين، وقمع الجاحدين والكفرة والمشركين

---

[1] - سورة يوسف ، من الاية 83 - 86 .

[2] - انظر الصبر في القرآن الكريم للقرضاوي ،ص 68 ، وكتاب الصبر لصالح الخزيم ص 58- 61 .

[3] - سورة يوسف ، الآية 84 .

المبحث الثاني: آداب الصبر

عند حلول البلاء بالعبد يتبين قوي الإيمان واليقين من غيره، فالعبد الموقن بالله والمؤمن به إيماناً قوياً جازماً يلتجئ إلى الله ـ تعالى ـ إذا نزل به البلاء، ويلتزم بآداب الصبر التي جاءت الشريعة الإسلامية بالأمر بها ، والحث عليها، أو جاءت بالنهي عن ضدها. وهذه الآداب منها آداب ظاهرة جلية تظهر على اللسان والجوارح، ومنها آداب خفية قلبية. وسأخصص في هذا المبحث ـ إن شاء الله ـ لكل نوع منهما مطلباً مستقلاً، أتناول فيه هذه الآداب بشيء من البيان والتفصيل؛ من خلال ما ورد بشأنها من نصوص شرعية ، وأقوال مأثورة لعلماء الأمة وأئمتها، وذلك على النحو الآتي :

المطلب الأول ـ آداب الصبر الظاهرة :

تتمثل أبرز آداب الصبر الظاهرة فيما يأتي :

أولاً ـ الصبر عند الصدمة الأولى ، وذلك بالصبر عند أول حلول البلاء أو المصيبة بالعبد فقد دلت النصوص الشرعية أن الصبر الذي يحمد عليه صاحبه ما كان عند مفاجأة المصيبة، بخلاف ما بعد ذلك فإنه على الأيام يسلو[1] ، فعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: « مر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بِامرَأةٍ تَبْكِي عِندَ قَبْرٍ، فَقَالَ: اتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي ، قَالَتْ: إلَيكَ عَنّي فَإنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي وَلَمْ تَعْرِفْهُ، فَقِيلَ لَهَا: إنَّهُ النَّبِي ـ صَلَى اللهُ عَلَيهِ وَسَلمْ ـ فَأَتَتْ النَّبِيَ ـ صَلَى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَمْ ـ فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ، فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ، فَقَالَ: إنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدِ الصَّدْمَةِ الأُولَى »[2] .يقول ابن ناصر الدين الدمشقي في تعليقه على هذا الحديث: معناه أن كل ذي مصيبة آخر أمره الصبر، ولكنه إنما يحمد عند حدتها وفور شدتها ؛ لأن مصير ذي الجزع إلى السلوان، ولو أقام على قبر ميته مدة زمان [3] .

ويقول ابن القيم: إذا كان آخر الأمر الصبر، والعبد غير محمود، فما أحسن به أن يستقبل الأمر في أوله بما يستدبره الأحمق في آخره. وقد قال بعض العقلاء: من لم يصبر صبر الكرام سلا سلو البهائم. وروي عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ أنه قال للأشعث بن قيس: إنك إن صبرت جرى عليك القلم وأنت مأجور، وإن جزعت جرى عليك القلم وأنت مأزور، وقد ذكر ذلك أبو تمام في شعره فقال:

وقال علي في التعازي لأشعث ... وخاف عليه بعض تلك المآثم

---

[1] ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، 3 / 150 .

[2] ـ رواه البخاري في صحيحه كتاب : الجنائز ، باب : الصبر عند الصدمة الأولى ، الحديث رقم 1283، 13 / 148. ورواه مسلم في صحيحه كتاب الجنائز ، باب : الصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى ، 6 /227.

[3] ـ برد الأكباد عند فقد الأولاد ، 13 ، 14 ، مطبعة المدني ، القاهرة .

أتصبر للبلوى عزاءً وخشيةً ... فتؤجر أو تسلو سلو البهائم؟ [1]ـ

ثانياً ـ الاسترجاع: هو قول المصاب :﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴾ ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴾[2]. فقد جعل ـ عز وجل ـ كلمات الاسترجاع هذه الجامعة لمعاني الخير ملجأً وملاذًا لذوي المصائب، وعصمة للممتحنين من الشيطان لئلا يتسلط عليهم فيوسوس لهم بالأفكار الرديئة، فيهيج ما سكن، ويظهر ما كمن. فإن قوله : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ ﴾ إقرار بالعبودية والملك لله، ولله المالك أن يفعل في ملكه ما يشاء، ولذا قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لإحدى بناته معزياً: « إِنَّ للهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَى »[3] . وقوله : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴾: إقرار بأن الله يميتنا ثم يبعثنا، فله الحكم في الأولى وله المرجع في الأخرى، واعتراف بأن المصابين لا بد أن يرجعوا إلى الله فيجازيهم على سخطهم إن سخطوا، وعلى صبرهم إن صبروا[4]. وقد تضمنت الآيات الكريمات الآنف ذكرها فوائد عدة منها: أن الصابرين حقاً هم المسترجعون، فمن لوازم الصبر الاسترجاع. وأخبر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن العبد يحصل بالصبر والاسترجاع منزلة عالية في الجنة، كما تقدم معنا في حديث أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: « إِذا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ قَالَ اللهُ لِمَلائِكَتَهُ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادَهُ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ، فَيَقُولُ اللهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيتاً فِي الْجَنَّةِ وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ »[5] . ومن ثمرات الاسترجاع بالإضافة إلى ما تقدم: نيل الأجر والثواب من عند الله، وإخلاف الله للمبتلى أو المصاب خيراً مما ابتلى به، فعن أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت: سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول: «مَا مِن مُسْلِمٍ تُصِيبَهُ مُصِيبَةٍ فَيَقُولُ مَا أَمَرُهُ اللهُ : ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ ، اللهُمَّ آجِرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَاخْلِفْ لِي خَيراً مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيراً مِنْهَا " ، قالت: فلمَّا

---

(1) ـ أدب الدنيا والدين ، للماوردي ، ص 278 .

(2) ـ سورة البقرة ، الآيات 155 - 157 .

(3) ـ رواه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الجنائز ، باب : قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعذب الميت ببكاء أهله ، الحديث رقم 1284، 3 / 151. ورواه مسلم في صحيحه كتاب : الجنائز ، باب : البكاء على الميت ، 6 / 224.

(4) ـ الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، 2 /119.

(5) ـ أخرجه الترمذي في سننه كتاب : الجنائز ، باب : فضل المصيبة إذا احتسب ، الحديث رقم 1022، 3 /341، وقال: حديث حسن غريب.

مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ قُلتُ: أي المُسْلِمِينَ خَيراً مِن أبِي سَلَمَة، أَوَّلَ بَيتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ـ صَلَى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَمَ ـ ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهِا، فَخَلَفَ اللهُ لِي رَسُولَ اللهِ ـ صَلَى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ »[1].

يقول ابن القيم معلقاً على الحديث: فانظر عاقبة الصبر والاسترجاع ومتابعة الرسول والرضا عن الله إلى ما آلت إليه ، وأنالت أم سلمة نكاح أكرم الخلق على الله[2].

ثالثاً ـ سكون اللسان:

ويكون سكون اللسان بأمور عدة، منها:

1 ـ كف اللسان عن الشكوى، فهو من لوازم الصبر، ولذا قيل في تعريف الصبر إنه: الغنى في البلوى بلا ظهور شكوى[3] وقيل أيضاً : الصبر ترك الشكوى . والمقصود هنا اجتناب الشكوى إلى المخلوقين، فهي مما يضاد الصبر وينافيه ويبطله، وإذا شكى العبد ربه إلى مخلوق مثله فقد شكى من يرحمه إلى من لا يرحمه.

يقول الشاعر:

وإذا عَرَتكَ بَلِيةً فَاصْبِر لَهَا ..... صَبْرَ الكَرِيمِ فَإِنَّهُ بِكَ أعْلَمُ

إذا شَكَوتَ إِلَى ابْنِ آدَمَ إِنَّمَا ..... تَشْكُو الرَّحِيمَ إِلَى الَّذِي لَا يَرْحَمُ[4]

إلا أنه لا يقدح في الصبر ـ كما يقول العلماء ـ إخبار المخلوق بالحال للاستعانة بإرشاده أو معاونته للتوصل إلى زوال ضرره، كإخبار المريض الطبيب بشكايته، وإخبار المظلوم من ينتصر له بحاله، وإخبار المبتلى من كان يرجو أن يكون فرج الله على يديه ببلائه.

وأما الشكوى إلى الله فلا تنافي الصبر، ولذا قال يعقوب ـ عليه السلام ـ : ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[5] ، مع قوله: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾[6]،

---

(1) ـ رواه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب : الجنائز ، باب : ما يقال عند المصيبة ، رقم الحديث : 918 .

(2) ـ عدة الصابرين ، ص 85 .

(3) ـ المرجع السابق ص 15 - 16 .

(4) ـ مدارج السالكين لابن القيم 123/2

(5) ـ سورة يوسف ، الآية 86 .

(6) ـ سورة يوسف ، من الآية 83

وقال أيوب ـ عليه السلام ـ شاكياً إلى ربه: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[1] مع وصف الله له بالصابر [2]

2 ـ كف اللسان عن ندب الميت ، أو النياحة عليه. والندب : هو تعداد محاسن الميت وما يلقاه المصاب بفقده بلفظ النداء كقولهم: وا رجلاه ، وا جبلاه، وانقطاع ظهراه، وأشباه هذا .

وأما النياحة: فهي رفع الصوت بالندب على الميت وتعداد فضائله، كقول النائحة: وا عضداه، وا ناصراه، ونحو ذلك. وهذان الأمران محرمان شرعاً ؛ لأن فيهما تظلماً واستغاثة وتسخطاً من قضاء الله وقدره، وذلك ينافي الصبر ويبطله. يقول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيتِ "[3] ، يقول ابن القيم: وأما الندب والنياحة فنص أحمد على تحريمهما. قال في رواية حنبل: النياحة معصية، وقال أصحاب الشافعي وغيرهم: النوح حرام، وقال ابن عبد البر: أجمع العلماء على أن النياحة لا تجوز للرجال ولا للنساء. وأما الكلمة اليسيرة إذا كانت صدقاً لا على وجه النوح والتسخط فلا تحرم ولا تنافي الصبر الواجب، نص عليه الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ دخل على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد وفاته، فوضع فمه بين عينيه، ووضع يده على صدغيه وقال: " وَا نَبِيَّاهْ وَا خَلِيلَاهْ وَا صَفِيَّاهْ "، ـ صلى الله عليه وسلم[4] .

وفي صحيح البخاري عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: " لما ثقل على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ جعل يتغشاه الكرب ، فقالت فاطمة : وَاكُرْبَاهُ عَلَى كُرْبِكَ يَا أَبَتَاهُ، فَقَالَ: لَا كُرْبَ عَلَى أَبِيكِ بَعْدَ الْيَوم، فَلَمَّا مَاتَ قَالتْ: يَا أَبَتَاهُ أَجَابَ رَباً دَعَاهُ، يَا أَبَتَاهُ جَنَّةَ الفِرْدَوسُ مَأْوَاهُ، يَا أَبَتَاهُ إِلَى جِبْرِيلَ أَنْعَاهُ "[5] .

3 ـ كف اللسان عن الصراخ والعويل، فعن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ: " أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بَرِئَ مِنَ الصَّالِقَةِ وَالحَالِقَةِ وَالشَّاقَّةِ "[6] والصالقة: هي التي ترفع صوتها عند وقوع المصيبة ، والحالقة: هي التي تحلق شعرها عند وقوع المصيبة، والشاقة، هي التي تشق ثوبها عند وقوع المصيبة.

---

[1] ـ سورة الأنبياء ، الآية 83 .

[2] ـ عدة الصابرين ص 17 .

[3] ـ رواه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب : الإيمان، باب : بيان إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة ، رقم الحديث : 67 .

[4] ـ رواه البخاري في صحيحه ، كتاب : المغازي ، باب : مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته ، رقم الحديث 4449

[5] ـ رواه البخاري في صحيحه ، كتاب : المغازي ، باب : مرض النبي ـ صلى الله عليه وسلم ووفاته ، الحديث رقم 4462، 8 / 14. وعدة الصابرين، لابن القيم، ص 113. وانظر: ، تسلية أهل المصائب، محمد المنبجي ص 83

[6] ـ رواه البخاري في الأدب المفرد رقم 494 ورواه مسلم في صحيحه كتاب : الإيمان ، باب : تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية ، ج 2 ص 110 ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم 1467

4 ـ كف اللسان عن الدعاء على النفس أو على الولد، فقد قال ـ صلى الله عليه وسلم : «لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللهِ سَاعَةَ يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءً فَيسْتَجِيبَ لَكُمْ "[1]

رابعاً ـ سكون الجوارح : ويكون سكون الجوارح باجتناب كل فعل أو سلوك يظهر على الجوارح مما ينافي الصبر ويشتمل على الجزع والتسخط، كلطم الخدود، وشق الثياب والجيوب، وتسويد الوجه أو خمشه، ونتف الشعر أو حلقه، وتغيير العادة في الملبس والمفرش والمطعم، ونحو ذلك. يقول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " لَيسَ مِنَا مَنْ لَطَمَ الخُدُودَ، وَشَقَّ الجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوى الجَاهِلِيةِ "[2]. وتقدم معنا ـ آنفا ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ برئ من الصالقة، والحالقة، والشاقة. ويجوز البكاء على الميت حزناً على فراقه إذا كان على سبيل الرحمة به ولم يصاحبه ندب ولا نياحة، فلا يخرج المصاب عن حد الصابرين ولا عن مقام الرضا بالقدر توجع القلب ولا فيضان العين بالدمع، فإن ذلك مقتضى ما أودعه الله عز وجل في الإنسان من شفقة ورحمة. ولذا : " ذَرِفَتْ عَينَا رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَليهِ وَسَلِم ـ عِندَ وَفَاةَ ابْنِهِ إبْرَاهِيمَ، وَلَمَا قَالَ لَهُ عَبدَ الرَّحْمَنِ بنِ عَوفٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ مُتَعَجِّباً : وَأَنتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ ـ صَلَّى اللهُ عَليهِ وَسَلِمْ ـ : يَا ابْنَ عَوفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى، فَقَالَ: إِنَّ الْعِينَ لتَدْمَعُ، وَالْقَلبَ ليَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَا مَا يُرْضِي رَبَّنَا، وَإِنَّا لفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ »[3] . وكذلك " لَمَّا رُفِعَ إِلَيهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلِمْ ـ ابْنَ إِحْدَى بَنَاتِهِ وَنَفْسُهُ تُقَعْقِعُ كَأَنَهِا فِي شَنَةٍ "[4]

ويرى شيخ الإسلام ابن تيمية أن البكاء على الميت على وجه الرحمة حسن مستحب، حيث يقول ما نصه : لكن البكاء على الميت على وجه الرحمة حسن مستحب، وذلك لا ينافي الرضا، بخلاف البكاء عليه لفوات حظه منه، وبهذا يعرف معنى قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما بكى على الميت وقال: " إِنَّ هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا الله فِي قُلوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مَنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءُ "[5] ، فإن هذا ليس كبكاء من يبكي

---

[1] ـ رواه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الزهد والرقائق، باب النهي عن الدعاء على النفس والأهل والمال ، رقم 3014 ، 18 / 139. وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم 7462 .

[2] ـ رواه البخاري في صحيحه كتاب : الجنائز ، باب : ليس منا من شق الجيوب ، الحديث رقم 1294 ، 3 / 172، 173. وروى مسلم نحوه من حديث أنس بن مالك كتاب : الإيمان ، باب : تفسير قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليس منا ، رقم الحديث : 103 .

[3] ـ رواه البخاري في صحيحه كتاب : الجنائز ، باب : قول النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعذب الميت ببكاء أهله عليه ، الحديث رقم 1303 ، 3 / 172، 173. وروى مسلم نحوه من حديث أنس بن مالك كتاب : الفضائل ، باب : رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان والعيال وتواضعه رقم الحديث 1808 ، 15 / 74.

[4] ـ فاضت عيناه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولما قال له سعد بن عبادة ـ رضي الله عنهما ـ متعجباً ـ: ما هذا يا رسول الله؟ قال: هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء

[5] ـ أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : الأدب ، باب : رحمة الناس والبهائم ، رقم الحديث : 5997 ، ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل ، باب : رحمته ـ صلى الله عليه وسلم ـ الصبيان والنساء ، رقم الحديث : 2319 .

لحظه ، لا لرحمة الميت ، فإن الفضيل بن عياض لما مات ابنه علي ضحك وقال: " رأيت أن الله قد قضى فأحببت أن أرضى بما قضى الله به " حاله حال حسن بالنسبة إلى أهل الجزع. وأما رحمة الميت مع الرضا بالقضاء وحمد الله تعالى كحال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهذا أكمل، كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴾[1] ، فذكر سبحانه التواصي بالصبر والمرحمة .[2]

خامساً ـ عدم إظهار أثر المصيبة : ويكون ذلك باجتناب إظهار المصاب أثر المصيبة عليه، واجتناب تغيير الحال أو تعطيل المعاش، ونحو ذلك لما فيه من إظهار الجزع المنافي للصبر. يقول ابن قدامة: من حسن الصبر أن لا يظهر أثر المصيبة على المصاب[3] ويقول ابن القيم: مما يقدح في الصبر إظهار المصيبة ، والتحدث بها، وكتمانها رأس الصبر [4] .

ويقول البهوتي: " وكره لمصاب تغيير حاله وتعطيل معاشه"[5]. وروي عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ أنه قال : " من إجلال الله ومعرفة حقه ألا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك " [6] . وروى الإمام أحمد عن الأحنف بن قيس أنه شكا إليه ابن أخيه وجعاً في ضرسه، فقال الأحنف: " لقد ذهبت عيني منذ أربعين سنة ما ذكرتها لأحد "[7] وروي أنه مات ابن لأحد قضاة البصرة، فاجتمع إليه العلماء والفقهاء فتذاكروا ما يتبين به جزع الرجل من صبره، فأجمعوا أنه إذا ترك شيئاً مما كان يصنعه فقد جزع [8]، ولعل أبرز ما يذكر في الالتزام بهذا الأدب : أم سليم ـ رضي الله عنها ـ زوج أبي طلحة ـ رضي الله عنه ـ عندما توفي ولدها منه، وأبوه غائب، فتجلدت وصبرت صبراً جميلا، حيث هيأت ابنها للدفن ونحته في جانب المنزل، ولما قدم أبو طلحة جهزت له أكله، وتزينت له حتى أصاب منها حاجته ، ولما سأل عن الصبي أخفت عنه موته، وأوهمته بأنه سكنت نفسه بالنوم لوجود العافية، وذلك حرصاً منها على عدم إزعاج زوجها بموت ابنه ليبيت مستريحاً بلا حزن. ولما أصبح أخبرته بموته فحمد الله واسترجع ، وغدا على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأخبره ، فدعا لهما بأن يبارك لهما في ليلتهما.يقول سفيان بن عيينة: قال رجل من الأنصار: رأيت لهما تسعة أولاد كلهم قد قرأ القرآن.

---

(1) ـ سورة البلد ، الآية 17 .
(2) ـ مجموع الفتاوي لابن تيمية ، 10/ 47 .
(3) ـ مختصر منهاج القاصدين،لابن قدامة ص 300.
(4) ـ عدة الصابرين ، ص 274 .
(5) ـ الروض المربع ، 357/1 .
(6) ـ مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة، ص 300.
(7) ـ الزهد ، ص288 .
(8) ـ عدة الصابرين، لابن القيم، ص 273.

سادساً ـ اجتناب إقامة المآتم: يقول الطرطوشي: " وأما المآتم فممنوعة بإجماع العلماء" [1] وقد روى الإمام أحمد عن جرير بن عبد الله البجلي ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: " كنا نعد الاجتماع إلى أهل الميت وصنيعة الطعام بعد دفنه من النياحة "، يعني أن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ كانوا يعدون الاجتماع عند أهل الميت بعد دفنه وأكل الطعام عندهم نوعاً من النياحة ، لما في ذلك من التثقيل عليهم وشغلهم مع ما هم فيه من اشتغال الخاطر بموت الميت، وما فيه من مخالفة السنة ؛ لأنهم مأمورون بأن يصنعوا لأهل الميت طعاماً، فخالفوا ذلك وكلفوهم صنعة الطعام لغيرهم ، واتفق الأئمة الأربعة على كراهة صنع أهل الميت طعاماً للناس يجتمعون عليه مستدلين بحديث جرير بن عبد الله المذكور. وأما إعداد الطعام لأهل الميت وبعثه إليهم فمستحب. يقول ابن قدامة: " يستحب إصلاح طعام لأهل الميت يبعث به إليهم، إعانة لهم، وجبراً لقلوبهم، فإنهم ربما اشتغلوا بمصيبتهم وبمن يأتي إليهم عن إصلاح طعام لأنفسهم "، وقد روى أبو داود في سننه بإسناده عن عبد الله بن جعفر أنه قال: لما جاء نعي جعفر، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " اصْنَعُوا لِآلَ جَعْفَرَ طَعَاماً، فَإِنَّهُ قَدْ أَتَاهُمْ أَمْرٌ يَشْغَلُهُمْ[2] "

المطلب الآخر : آداب الصبر الخفية:

تتمثل أبرز آداب الصبر الخفية فيما يأتي:

أولاً ـ الرضا والتسليم بقضاء الله وقدره:

وذلك بألا يكون في قلبه شيء من الجزع على ما قضاه الله وقدره عليه، وألا ييأس على ما فاته، ولا يفرح بما جاءه، ويوقن بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، قال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴾[3]

قال علقمة لما سئل عن هذه الآية : " هي المصيبة تصيب الرجل فيعلم أنها من عند الله فيرضى لها ويسلم " [4] ، وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ـ

---

[1] ـ كتاب الحوادث والبدع ، ص137 .

[2] ـ أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب : الجنائز، باب : صنعة الطعام لأهل الميت ، الحديث رقم 3132 ، 3 /195، ورواه الترمذي في سننه كتاب : أبوب الجنائز، باب : ما جاء في الطعام يصنع لأهل الميت ، الحديث رقم 998 ، حديث صحيح بشواهده وقد صححه جمع من أهل العلم كالألباني والنووي وغيرهما .

[3] ـ سورة الحديد ، الآية 22 ، و23 .

[4] ـ تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، 400/4. و تسلية أهل المصائب، المنبجي، ص 209.

صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: " إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَ قَوماً ابْتَلاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ "[1] .

وعن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: " ما أبالي بالعسر رميت أو باليسر؛ لأن حق الله تعالى في العسر الرضا والصبر، وفي اليسر الحمد والشكر " [2].

ثانياً ـ الاستعانة بالله والتوكل عليه :

وذلك بأن يستعين المبتلى بالله في محنته ، ويتكل عليه في مصيبته ، ويطلب عونه على بلواه ، ويستبق ثقته برحمته وقدرته على كشف ضره، ويأمل في عوضه وحسن جزائه، فعلى حسب ملاحظته والوثوق به ومطالعته يخف حمل البلاء، لشهود العوض، كما يخف على كل متحمل مشقة عظيمة حملها ؛ لما يلاحظه من لذة عاقبتها، وظفره بها [3] ، ومن لوازم الاستعانة بالله والتوكل عليه ، ألا يفقد المبتلى ثقته في عون الله له مهما اشتد الخطب ، وعظم البلاء ، وألا يقنط من رحمته ـ سبحانه ـ فإن فعل ذلك ـ أي فقد ثقته بالله ـ فما ذلك بمبدل ما به من بلاء ؛ بل سيفقد به كل نافذة مضيئة، وكل رجاء في الفرج، وسيستبد به الضيق ، فيزداد بلاء على بلائه ، وكرباً على كربه، يقول تعالى: ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴾ [4]

ثالثاً ـ حسن الظن بالله: وذلك بأن يعلم المبتلى أن الذي ابتلاه أحكم الحاكمين، وأرحم الراحمين، وأنه سبحانه لم يرسل إليه البلاء ليهلكه، ولا ليعذبه به، وإنما ليمتحن إيمانه وصبره ورضاه، وليسمع تضرعه ، وابتهاله، وليراه طريحاً ببابه، لائذاً بجنابه، مكسور القلب بين يديه، رافعاً الشكوى إليه [5] . يقول عبد القادر الجيلاني: " يا بني إن المصيبة ما جاءت لتهلكك، وإنما جاءت لتمتحن صبرك وإيمانك " . وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: " يَقُولُ اللهُ تَعَالَى : أَنَا عِنْدَ حُسنِ ظَنِّ عَبْدِي بِي " [6] . وسئل القاسم بن محمد عن الجزع، فقال: "القول السيئ، والظن السيئ "[7] . ومن حسن الظن بالله أن يوقن المبتلى بأن ما أصابه

---

[1] ـ رواه الترمذي في سننه كتاب : الزهد ، باب : ما جاء في الصبر على البلاء ، الحديث رقم 2401 ، 4 / 601 ، وقال : حديث حسن غريب . ورواه ابن ماجه في سننه كتاب : الفتن ، باب : الصبر على البلاء ، الحديث رقم 4531 ، ص 666 ، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم 146 ، 1 / 276

[2] ـ كتاب الفرج بعد الشدة ، التنوخي ، 1 / 177 .

[3] ـ مدارج السالكين ، لابن القيم ، ، 169/2 .

[4] ـ سورة الحج ، الآية 15

[5] ـ انظر : تسلية أهل المصائب ، محمد المنبجي ، ص 225 .

[6] ـ رواه البخاري في صحيحه ، كتاب : التوحيد ، باب : قول الله تعالى " وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ " ، الحديث رقم 7405 ، ورواه مسلم في صحيحه كتاب : الذكر والدعاء ، باب : الحث على ذكر الله ، رقم الحديث 2675 ، 17 / 2 .

[7] ـ عدة الصابرين ، لابن القيم ، ، ص 273 .

من بلاء هو خير له ، وإن ظهر له في صورة الشر، فإن الله عز وجل لا يقضي لعباده إلا خيراً، علمه من علمه، وجهله من جهله، فما يقضيه الله من المنع لعبده المؤمن، عطاء وإن كان في صورة المنع، ونعمة وإن كانت في صورة محنة، وبلاؤه عافية وإن كان في صورة بلية، ولكن لجهل العبد ، وظلمه ، وقصر نظره ، لا يعد العطاء ، والنعمة والعافية ، إلا ما التذ به في العاجل، وتمتع به في القريب، وكان ملائماً لطبعه خالياً من الأذى، وما علم أن فيما أصابه من بلاءٍ شحذاً لقواه، وعلواً لهمته، وتكفيراً لسيئاته، ورفعاً لدرجاته، ومضاعفة لحسناته[1] .

رابعاً ـ الإخلاص لله: وذلك بأن يجعل المبتلى الغاية من صبره: ابتغاء وجه الله ومرضاته، والقرب منه ، ونيل ثوابه. وألا يشرك مع هذه الغاية أية غاية أخرى من الغايات الدنيوية، كالفخر بالتجلد ، وقوة التحمل ، ونيل مدح الناس وثنائهم .

يقول ـ عز وجل ـ في معرض بيانه لصفات أولي الألباب الذين وعدهم سبحانه بعقبى الدار: ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾[2]، يقول السعدي ـ رحمه الله ـ : أي لا لغير ذلك من المقاصد والأغراض الفاسدة ، فإن هذا هو الصبر النافع ، الذي يحبس به العبد نفسه طلباً لمرضاة ربه، ورجاءً للقرب منه، والحظوة بثوابه، وهو الصبر الذي من خصائص الإيمان.

وأما الصبر المشترك الذي غايته التجلد، ومنتهاه الفخر، فهذا يصدر من البر والفاجر، والمؤمن والكافر، فليس هو الممدوح على الحقيقة [3].عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: " قال الله تعالى : أَنَّا أَغْنَى الشُّرَكَاء عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيرِي تَرَكْتَهُ وَشِرْكَهُ[4] .

خامساً ـ عدم تمني الموت :عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أنه قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: " لا يَتَمَنَّينَ أَحَدَكُمُ المَوتَ مِنْ ضُرٍّ أَصَابَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَ فَاعِلاً فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الحَيَاةُ خَيراً لِي وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الوَفَاةُ خَيراً لِي "[5].

المبحث الثالث ـ فضائل الصبر: الصبر خصلة محمودة، وسجية مرغوبة، وخلق فريد، جميل العواقب، حميد الآثار، جم الفوائد، وكريم العوائد[6] ، وهو قوة نفسية وخلقية إيجابية فاعلة، تدفع المتحلي بها إلى مقاومة كل أسباب الخور والضعف

---

[1] ـ انظر : مدارج السالكين لابن القيم ، 2 / 162 ، 163

[2] ـ سورة الرعد ، من الآية 22

[3] ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، للسعدي ، ص 417

[4] ـ رواه مسلم في صحيحه ، كتاب : الزهد ، باب : تحريم الرياء ، 185/18

[5] ـ رواه البخاري في صحيحه ، كتاب : المرضى ، باب : تمني المريض الموت ، الحديث رقم 5671 ، 10 / 127

[6] ـ كتاب الصبر ، د . صالح الخزيم ، ص 14

والاستكانة، وتحمله على الصمود على طاعة الله، والثبات أمام الفتن والمغريات، والمحن والمكاره، إلى أن يلقى الله وهو عنه راضٍ. وهو أيضا قوة تحمل واختبار عزيمة، وسلاح نجاح المؤمن وفلاحه في الدنيا والآخرة. وللصبر فضائل كثيرة وعظيمة ورد ذكرها في مواضع متفرقة من كتاب الله تعالى، وفي سنة رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وكذا في العديد من الآثار الواردة عن سلف الأمة وعلمائها ـ رضي الله عنهم ورحمهم ـ . وسأبين هذه الفضائل ـ إن شاء الله ـ في ثلاثة مطالب.

أتناول في الأول منها ـ فضائل الصبر في القرآن الكريم.

وأتناول في الثاني ـ فضائل الصبر في السنة النبوية.

وأتناول في الثالث ـ فضائل الصبر في الآثار الواردة عن سلف الأمة وعلمائها . وذلك على النحو الآتي :

المطلب الأول ـ فضائل الصبر في القرآن الكريم :

ذكر الله ـ عز وجل ـ الصبر وأشاد به في مواضع كثيرة في كتابه الكريم، يقول الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ : ذكر الله ـ سبحانه ـ الصبر في القرآن في تسعين موضعاً . والمتتبع للمواضع التي ذكر فيها الصبر والصابرون في القرآن الكريم يتضح له بجلاء لا يقبل الشك أن الصبر مقام من أرفع مقامات الدين، وخلق من أعظم أخلاق المؤمنين، ومنزلة من أجل منازل الصالحين، وشعبة من أبرز شعب الإيمان، وعروة من أوثق عرى الإسلام ، حتى إن القرآن جعله مفتاح كل خير، وباب كل سعادة في الدنيا والآخرة[1] ولعل من أبرز فضائل الصبر في هذه المواضع الكثيرة في كتاب الله ما يلي:

أولاً ـ أن الله ـ عز وجل ـ قرن الصبر بأركان الإسلام وقيمه، ومقامات الإيمان :

1 ـ فقرنه ـ سبحانه ـ بالصلاة، فقال:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾[2].

2- وقرنه بالجهاد، فقال: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ﴾[3].

---

[1] ـ الصبر في القرآن ، د . يوسف القرضاوي ، ، ص 53 .
[2] ـ سورة البقرة ، الاية 153 .
[3] ـ سورة محمد ، الآية 31

3- وقرنه بعمل الصالحات عموماً ، فقال :﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾[1]

4 - وقرنه باليقين، فقال: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾[2]

5 - وقرنه بالحق، فقال: ﴿ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾[3].

6 - وقرنه بالصدق، فقال: ﴿ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ﴾[4].

7- وقرنه بالتقوى، فقال: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[5].

8 - وقرنه بالتوكل، فقال: ﴿ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[6]

9 - وقرنه بالشكر، فقال: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾[7]

ثانياً – أنه ـ سبحانه ـ أخبر بمعيته للصابرين في آيات عدة : منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[8]، يقول الشيخ السعدي : أي : " مع من كان الصبر لهم خلقاً وصفةً وملكةً بمعونته وتوفيقه وتسديده، فهانت عليهم بذلك المشاق والمكاره، وسهل عليهم كل عظيم، وزالت عنهم كل صعوبة، وهذه معية خاصة تقتضي محبته ومعونته ونصره وقربه، وهذه منقبة عظيمة للصابرين، فلو لم يكن لهم فضيلة إلا أنهم فازوا بهذه المعية من الله لكفى بها فضلاً وشرفاً "[9] .

---

(1) ـ سورة هود ، الآية 11
(2) ـ سورة السجدة ، الآية 24
(3) ـ سورة العصر ، الآية 3
(4) ـ سورة الأحزاب ، من الآية 35 .
(5) ـ سورة يوسف ، الآية 90 .
(6) ـ سورة العنكبوت ، من الآية 58 ، والآية 59
(7) ـ سورة أبراهيم ، من الآية 5
(8) ـ سورة البقرة ، من الآية 153 .
(9) ـ تيسير الكريم الرحمن ، للسعدي ، ص75

ثالثاً ـ أنه سبحانه أخبر بظفرهم بمحبته ، فقال : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَاوَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[1].

رابعاً ـ أنه ـ سبحانه ـ أطلق البشرى لهم بأن جمع لهم ثلاثة لم يجمعها لغيرهم وهي: الصلاة منه عليهم، ورحمته لهم، وهدايته إياهم، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾[2] .

خامساً ـ أنه ـ سبحانه ـ أوجب الجزاء لهم بأحسن أعمالهم، وتوفيتهم أجورهم بغير حساب، فقال: ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[3] وقال : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[4]. أي: بغير حد ولا عد ولا مقدار، وما ذاك إلا لفضيلة الصبر ومحله عند الله .

سادساً – أنه ـ سبحانه ـ ضمن النصر والمدد لهم : فقال: ﴿ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾[5] ،

سابعاً ـ وضمن لهم سلامتهم من شر الأشرار وحفظهم من كيد الأعداء : فقال: ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[6] .

ثامناً ـ أنه سبحانه امتدحهم وأثنى عليهم ، فقال: ﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾([7]) .

---

(1) ـ سورة آل عمران ، الآية 146 .
(2) ـ سورة البقرة ، 155 ـ 156 .
(3) ـ سورة النحل ، من الآية 96 .
(4) ـ سورة الزمر ، الآية 10 .
(5) ـ سورة آل عمران ، الآية 125 .
(6) ـ سورة آل عمران ، الآية 120 .
7 ـ سورة البقرة ، الآية 177 .

المطلب الثاني: فضائل الصبر في السنة النبوية

صح عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أحاديث نبوية كثيرة تبين قيمة الصبر، وتبرز منزلته وفضله. ولعل أهم ما بينته هذه الأحاديث وأبرزته من ذلك ما يلي :

أولاً ـ تعريف الإيمان بالصبر والسماحة : فعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ " أَنَّ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ـ سُئِلَ عَنِ الإيمَانِ ، فَقَالَ : الصَّبْرُ وَالسَّمَاحَةُ "[1] .يقول ابن القيم معلقاً على هذا الحديث: وهذا من أجمع الكلام وأعظمه برهاناً وأوعبه لمقامات الإيمان من أولها إلى آخرها، فإن النفس يراد منها شيئان:

الأول ـ بذل ما أمرت به وإعطاؤه، فالحامل عليه : السماحة.

الآخر ـ ترك ما نهيت عنه والبعد عنه، فالحامل عليه: الصبر .[2]

ثانياً ـ أن الصبر خير عطاءٍ أعطيه الإنسان وأوسعه :

فعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: " مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيراً وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرُ » [3].

ثالثاً ـ أن الصبر على البلاء أحد أربع خصال من أعطيهن فقد أعطي خير الدنيا والآخرة: فعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: " أَرْبَعَ مَنْ أَعْطِيهُنَّ فَقَدْ أُعْطِيَ خَيرَي الدُّنيَا وَالآخِرَةَ: قَلْبٌ شَاكِرٌ، وَلِسَانٌ ذَاكِرٌ، وَبَدَنٌ عَلَى البَلَاءِ صَابِرٌ، وَزَوْجَةٌ لَا تَبْغِيهِ خَوناً فِي نَفْسِهَا وَلَا مَالِهِ "[4] .

رابعاً- اقتران النصر بالصبر:

فعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ أن رسول اللـه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : " اعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيراً كَثِيراً ، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ "[5] .

خامساً ـ توفيق الله ـ عز وجل ـ الصابرين :

---

[1] ـ رواه ابن أبي الدنيا في الصبر والثواب عليه ، ص 37 ، بتحقيق : محمد خير رمضان يوسف ، ورواه الإمام أحمد في المسند من حديث عمرو بن عنبسة ، ورجاله موثقون ، انظر : الفتح الرباني ، 1/ 74 ،. وأسنده ابن أبي شيبة في الإيمان برقم 43 ، من حديث جابر بن عبد الله . وقال الألباني : إسناده صحيح ورجاله ثقات . راجع : سلسلة الأحاديث الصحيحة ، 3 / 483 .

[2] ـ مدارج السالكين ، 122/2 .

[3] ـ رواه البخاري في صحيحه كتاب : المرضى ، باب : تمني المريض الموت ، الحديث رقم : 5671 ، 3 / 335 . ورواه مسلم في صحيحه كتاب : الزكاة ، باب : فضل التعفف والصبر ، حديث رقم : 1053 7 / 144 ، 145

[4] ـ رواه ابن أبي الدنيا في الصبر والثواب عليه ، ص 36 . كما رواه الطبراني في المعجم الكبير ، الحديث رقم 11275 ، 11 / 134 ،. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني في الكبير والأوسط ، ورجال الأوسط رجال الصحيح ، 4 /273 . وقال المنذري في الترغيب والترهيب : رواه الطبراني بإسناد جيد ، 2 /398 ، ط عام 1407 هـ 1987 م ، دار الحديث ، القاهرة .

[5] ـ رواه الإمام أحمد في المسند ، الحديث رقم 2803 ، 5 / 18 ، 19 ، وصححه محققو المسند ، كما صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم 2382 ، 5 / 496 .

فعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : " مَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرُهُ اللهَ " [1].

المطلب الثالث : فضائل الصبر في آثار سلف الأمة وعلمائها :

نقل عن سلف الأمة وعلمائها الكثير من الآثار والأقوال التي تبين قيمة الصبر ومنزلته وفضله ، وأورد فيما يأتي أهم هذه الآثار والأقوال :

أولاً ـ يقول عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ : " وجدنا خير عيشنا بالصبر .وفي رواية: إن أفضل عيش أدركناه بالصبر ، ولو أن الصبر كان من الرجال كان كريماً .ويقول ـ رضي الله عنه ـ : " الصبر ملاك الإيمان " [(2)] . ويقول كذلك : لو أن الصبر والشكر بعيران لم أبال أيهما ركبت .

ثانياً ـ ويقول علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ : " بني الإسلام على أربع دعائم : اليقين، والصبر ، والجهاد ، والعدل "[3] .

ثالثاً ـ ويقول خالد بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ : " يا أهل الإسلام إن الصبر عز ، وإن الفشل عجز ، وإن النصر مع الصبر"[4] .

رابعاً ـ ويقول عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنهما ـ : " الصبر نصف الإيمان"[5].

خامساً ـ ويقول عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنه ـ : " أفضل العدة الصبر على الشدة"[6].

سادساً ـ ويقول أبو الدرداء ـ رضي الله عنه ـ : " ذروة الإيمان الصبر للحكم ، والرضا بالقدر"[7] .

سابعاً ـ ويقول عمران بن حصين ـ رضي الله عنه ـ : "ثلاث يدرك بهن العبد رغائب الدنيا والآخرة : الصبر عند البلاء ، والرضا بالقضاء ، والدعاء في الرخاء"[8].

---

[1] ـ أخرجه البخاري في صحصحه ، كتاب : الزكاة ، باب : الاستعفاف عن المسالة ، رقم الحديث : 1469 . وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة ، باب : الحث على الصدقة ولو بشق ثمرة ، رقم الحديث : 1053

[(2)] ـ إحياء علوم الدين ، الغزالي ، 59/4 .

[3] ـ قوت القلوب ، للمكي ، 194/1 . ، إحياء علوم الدين ، للغزالي ، 59/4 .

[4] ـ عيون الأخبار لابن قتيبة ، 258/1 ، ط الأولى 1406 هـ 1986 م ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

[5] ـ قوت القلوب ، للمكي 1 / 194 . وانظر : عدة الصابرين ، لابن القيم ،ص 116 .

[6] ـ أدب الدنيا والدين ، للماوردي ص 276

[7] ـ إحياء علوم الدين ، للغزالي ، 4 / 59 . وقوت القلوب ، للمكي ، 1 /195 .

[8] ـ الصبر والثواب عليه ، لابن أبي الدنيا ، ص 65 .

ثامناً ـ وتقول أم الدرداء ـ رضي الله عنها ـ : " إن الراضين بقضاء الله الذين ما قضى الله لهم رضوا به ، لهم في الجنة منازل يغبطهم بها الشهداء يوم القيامة "[1].

[1] ـ تسلية أهل المصائب ، للمنبجي ، ص 209 .

الخاتمة

بعد هذه الرحلة الشيقة مع موضوع الصبر وما تعرفت عليه من معلومات كنت أحوج ما يكون إليها ، ـ لا سيما في محنتي ـ بعد هذه الرحلة وصلت إلى الخاتمة وإلى نتائج هذا البحث

الصبر ليس مجرد خلق ، بل هو مقام عظيم من مقامات الإيمان ، لا يعطى الصبر إلا لمن أكرمه الله بخير كثير ، فالصبر زاد المؤمن في مسيرته نحو الله ، وسلاحه في وجه الابتلاءات ، وسبيله للفوز برضا الله ـ تعالى ـ وجنته .

وقد تجلت في القرآن الكريم والسنة المطهرة كما مر في البحث منزلة الصابرين فقرن الله الصبر بالإيمان وجعل لهم أعظم الأجر ...

التوصيات

أوصي أهل العلم بالعلم والاطلاع على كل بحث جديد ففي الاطلاع تتجدد المعلومات ، وتنشط الذاكرة وتستمر وتزدهر

هذا ما وفقني الله إليه فإن كان صواباً فمن الله ، وإن كان خطأ فمن نفسي ومن الشيطان

وأصلي وأسلم على خير الأنام سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الكرام

والحمد لله رب العالمين

ثبت المصادر والمراجع

المصدر الأول القران الكريم على رواية الإمام حفص عن عاصم

1 ـ أدب الدنيا والدين ، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي ، ت 450 هـ ، دار الفكر بيروت تحقيق مصطفى السقا ،.

2 ـ تسلية أهل المصائب ، لمحمد بن محمد الصالحي المنبجي الحنبلي ، ط سنة 2005 م .

3ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، للسعدي

4 ـ طريق الهجرتين وباب السعادتين ، لابن القيم ، .دار عالم الفوائد ، السعودية ، تحقيق بشار عواد معروف ، وهي من أفضل الطبعات .

5 ـ فتح الباري، لابن حجر العسقلاني .

6 ـ مجموع الفتاوى لابن تيمية، ط الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين، مكة المكرمة.

7 ـ مفردات ألفاظ القرآن، بتحقيق: صفوان داوودي، ط الثانية 1418 هـ 1997 م، دار القلم، دمشق..

8 ـ إحياء علوم الدين للغزالي ، دار الكتب العلمية بيروت ، طبعة محققة بأربع مجلدات .

9 ـ الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي .

10 ـ الروض المربع شرح زاد المستقنع في اختصار المقنع ، لمنصور بن يونس بن صلاح البهوتي ت 1051 .

11 ـ الزهد ، للإمام أحمد تحقيق الشيخ محمد أحمد عيسى ، دار الغد المنصورة ، مصر 1426.

12 ـ سنن الترمذي ، الجامع الكبير ، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي تـ 279هـ

13 ـ صحيح البخاري ، الجامع المسند لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري ، تـ 256 هـ

14 ـ صحيح مسلم ، للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، تـ 261 هـ

15 ـ الصبر في القرآن، د . يوسف القرضاوي، ص 29، ط الأولى 1397 هـ 1997 م، مكتبة وهبة، القاهرة.

16 ـ الصبر والثواب عليه ، لابن أبي الدنيا ، .دار ابن حزم بيروت ، المحقق الأستاذ : محمد خير رمضان يوسف ، الطبعة سنة 1418 هـ

17 ـ تفسير القرآن العظيم، لابن كثير،

18 - زاد المعاد لابن القيم ، 189/4 - 190 .

19ـ عدة الصابرين ، لابن القيم ، ط الأولى 1991م ، دار الفكر اللبناني ، بيروت .

20- عدة الصابرين ودخيرة الشاكرين ، لابن القيم ،.تحقيق سليم الهلالي ، طبعة الرياض 1421هـ

21ـ عيون الأخبار لابن قتيبة ، ط الأولى 1406 هـ 1986 م ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

22- قوت القلوب في معاملة المحبوب ، للمكي . وهو الإمام محمد بن علي بن عطية ، المعروف بأبو طالب المكي ، دار الكتب العلمية بيروت تحقيق عاصم إبراهيم الكيالي ط 2005م

23- كتاب الحوادث والبدع ، لمحمد بن الوليد بن محمد الطرطوشي ت 520 هـ

24- كتاب الصبر ، د . صالح بن ناصر الخزيم ، دار بن حزم بيروت ط الأولى 1414هـ

25- كتاب الفرج بعد الشدة ، للقاضي المحسن بن علي بن أبي الفهم التنوخي. دار الهلال ، مصر 1903 وهي أول طبعة .

26 - مختصر منهاج القاصدين لمحمد موفق الدين عبد الله ابن قدامة ، تحقيق محمد مهدي الناصري، دار ابن الجوزي ، السعودية

27 - مدارج السالكين ، ط الأولى 1419 هـ 1999م ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت- مفردات ألفاظ القرآن ، لأبي القاسم الحسين بن محمد بن الفضل المعروف بالراغب الأصفهاني ت 502هـ دار القلم دمشق تحقيق صفوان عدنان ، 2005م